منهجية الكتابة الإنشائية حول قصيدة من الشعر الإحيائي/ الرومانسي

1 مدخـــل

الشعر الإحيائي: بعد الركود الذي عاشه الشعر العربي في عصر الإنحطاط بفعل الإغراق في التكلف و الصناعة اللفظية، ظهر شعراء البعث و الإحياء إثر النهضة العربية التي تعززت بالإحتكاك الحضاري بالغرب، فدعوا إلى إنقاذ الشعر العربي من رواسب الإنحطاط و الإبتذال، و إبعاده من ضروب الحذلقة اللغوية و التنميق و التصنع، و ذلك عبر العودة إلى الماضي لاستلهام النماذج القوية في الموروث الشعري القديم و إحيائها من جديد، فضلا عن احتكامهم إلى معايير عمود الشعر التي تنحصر في: "شرف المعنى و صحته، و جزالة اللفظ و استقامته، و الإصابة في الوصف"، و هي نفس المقومات التي اعتمدها القدماء في شعرهم، فبها يستدل على حسن النظم و إحكام صنعته، و إذا افتقدها الشعر صار مجرد جسد بلا روح.

الشعر الرومانسي: ظهر الشعر الرومانسي كرد فعل عنيف ضد مدرسة البعث و الإحياء التي تمجد الأصول و تقلد طرق القدماء في النظم، و تستند إلى المعايير و النماذج الجاهزة سلفا. الشيء الذي من شأنه أن يعود بالشعر إلى عمار التصنع و التكرار. لهذا أمن الإتجاه الرومانسي بأن جمال الشعر و المقياس الوحيد للإبداع الشعري يكمن فقط في التعبير الصادق عن ذات الشاعر و أحواله النفسية في صلتها بأحوال مجتمعه. و قد تبلور هذا التيار مع عدة مدارس أهمها: "مدرسة الديوان، جماعة أبولو، التيار المهجري"، و كلها دعت إلى الإنفلات من الماضي و التراث، و الثورة على النظم الشعرية التقليدية، فساهموا بذلك في تجديد الأدب العربي عبر العودة إلى الذات و الوجدان، و اعتماد الوحدة العضوية في القصيدة، فضلا عن الإنتقال من اللغة الصارمة إلى اللغة المرنة.

2 الملاحـــظة و الفـــهم

ملاحظة النص: جاءت القصيدة معنونة بـ (...) فالعنوان تركيبيا جاء على صيغة (...) و دلاليا فهو يوحي إلى (...). اذن فان الفرضيات التي تطرح نفسها هي: ربما الشاعر يتحدث عن ... أو ربما يتحدث عن ... وقد يتحدث عن ... هذه الفرضيات المطروحة تحتم علينا طرح مجموعة من الإشكاليات: ما هو الموضوع الرئيسي داخل خبايا القصيدة؟ و ما هي الوسائل التي سخرها شاعرنا لإيصال رسالته للمتلقي؟ و ما مدى تمثيلية النص للخطاب/ الإتجاه الذي ينتمي اليه؟

فهم النص: ان مضمون القصيدة هو مضمون عبّر عنه الشاعر بكل حماس وهو يتناول (5 أسطر) إن هذا المضمون يعتبر من المضامين التي خلّدت المدرسة الكلاسيكية/الرومانسية، فالشاعر يمدح القدماء و يتغنى بالتقاليد /يناجي الذات و الطبيعة. و يتبين هذا من خلال الوحدات التي قسمها صاحب قصيدته وهي على النحو التالي: فـ **الوحدة الأولى** تضم الأبيات (..) حيث يخصصها شاعرنا بالحديث عن(..) أما **الوحدة الثانية** فتضم الأبيات (..) وفيها يتنقل الشاعر إلى الحديث عن(..)، وأخيرا **الوحدة الثالثة** والتي تضم الأبيات (..) وقد ضمنها الحديث عن (..).

4 التركـــيب

و بعد هذه الأشواط من التحليل، يتضح لنا من خلال القصيدة أن الشاعر قد ظل وفيا لتقاليد القصيدة العربية ومخلصا لنظامها و لوحدة قافيتها، حيث يناشد القدماء و يعارضهم في القصائد و ينسج على منوالهم، و يؤمن بأن الماضي هو مستقر المثل الأعلى، مما يؤكد بالملموس إنتماء القصيدة إلى الإتجاه الكلاسيكي/ أن الشاعر قد استحدث مواضيع جديدة مغايرة لما جاءت به مدرسة البعث و الإحياء. فقد صار يناجي الذات و الطبيعة، كما كسر من رتابة نظام الشطرين التقليدي و القافية الموحدة، فأقام مقامه نظام المقاطع و التدوير كما عدد في القافية حسب المشاعر الجزئية التي تلتئم لتشكل الوحدة العضوية للقصيدة، فضلا عن الإنفلات من رصانة اللغة و العودة بها إلى البساطة. وكلها مجهودات تنم عن قفزة نوعية في أفق السعي نحو التغيير.

3 التحـــليل

المعجم: نلاحظ على مستوى المعجم حضور حقلين دلاليين: حقل دال على (...) و حقل دال على (...)، فيما يخص الألفاظ التي تعبر عن الحقل الأول هي (...) وأما الألفاظ التي تحيل عن الحقل الثاني (...)، و من خلال هذه الألفاظ يتضح هيمنة الألفاظ الدالة على حقل (...). إذن فالعلاقة التي تربط الحقلين هي علاقة (تكامل، تضاد...) لأن (...). و يتضح أن المعجم الموظف هو معجم:

- **متين:** لكونه يشتمل على ألفاظ زجلة و لغة رصينة جريا على عادة الشعراء الأقدمين في النظم
- **بسيط:** لكونه يشتمل على ألفاظ سهلة و لغة سلسة لتسهيل عملية التلقي و التخاطر الشعري

الصور الشعرية: و بالحديث عن الصور الشعرية التي تمثل تركيبا لغويا يمكن الشاعر من تصوير معنى عقلي و عاطفي متخيل، نجد أنها قد تشكلت في القصيدة من ثلاث مكونات:

- **اللغة:** التي عماد الصورة الشعرية إذ تشكل نسيج الألفاظ في التعبير الشعري
- **العاطفة:** التي تشكل الروح التي تنفخ في ألفاظ القصيدة
- **الخيال:** الذي يمكن اللغة و العاطفة من تحديد معالم الصورة الشعرية

← و قد حضرت في القصيدة عبر توظيف مكونين بلاغيين هما:

- **التشبيه:** المماثلة بين شيئين يتشاركان في صفة أو أكثر. حيث شبه الشاعر في البيت (..) كذا... بـ كذا... و المشبه و المشبه به هنا محسوسان يدركان بالحواس/ معنويان يدركان بالعقل.
- **الاستعارة:** تشبيه حذف أحد طرفيه، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي. و قد جاءت الإستعارة في البيت (..) حيث استعار الشاعر كذا... من صفات... و أعطاها لـ كذا... و هي استعارة تصريحية صرح فيها بالمشبه به و حذف المشبه/ استعارة مكنية ذكر فيها المشبه و حذف المشبه به.

← و الصور في القصيدة هي صور:

- **مفردة:** تعتمد التصوير الحسي الموجود بين المتشابهين في الظاهر
- **مركبة:** تعتمد تصويرا يجمع بين ما هو حسي وما هو نفسي عاطفي
- **كلية:** تعتمد تكثيف كل عناصر الصورة عبر التنسيق بينها في سياق تعبيري واحد

← و قد أدت هذه الصور في القصيدة وظيفة:

- **نفسية:** حيث تم التركيز على مشاعر الشاعر الداخلية و تجربته الوجدانية
- **تأثيرية:** حيث تم إقناع المتلقي بموقف الشاعر و بالفكرة أو المعنى المراد من الصورة
- **تخييلية:** حيث تم اعتماد قدرات الشاعر التخييلية الإبداعية في التركيب بين عناصر طبيعية و أخرى إنسانية

↙ و هكذا نجد أن هذه الصور قد أظفت على القصيدة صبغة جمالية من جهة ومن جهة أخرى ضمنت إيصال أحاسيس الشاعر في حالة من الابداع و الروعة.

الإيقاع: فيما يخص إيقاع القصيدة، نميز فيه بين نوعين:

⊙ **الإيقاع الخارجي:** لقد نظمت هذه القصيدة ذات نظام الشطرين المتناظرين في قالبه التقليدي/الجديد، على وزن بحر (...) ذي التفعليلة المركبة/الصافية (...)، و قد جاءت القصيدة موحدة/متعددة القافية (تحديدها + نوعها: مطلقة أم مقيدة) و الروي(..) محافظا بذلك على أهم خصائص القصيدة العمودية ذات نظام الشطرين المتناظرين والذي يخلق تجانسا إيقاعيا.

⊙ **الإيقاع الداخلي:** لقد أغنى الشاعر إيقاع قصيدته الداخلي بأسلوب التكرار الذي يعد ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلق بمعنى، ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام. و قد حضر في القصيدة بعدة أشكال:

- **تكرار الحرف:** حيث تكررت الحروف (..و..و..)، مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية.
- **تكرار اللفظ:** حيث تكررت الألفاظ (..و..و..)، وذلك لإغناء دلالتها و إكسابها قوة تأثيرية.
- **تكرار العبارة:** حيث تكررت العبارات (..و..و..)، مما يعكس الأهمية التي يحملها محتواها باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام للقصيدة.

← و قد أدى هذا التكرار الوارد في القصيدة وظيفة:

- **تأكيدية:** حيث ساهم في تأكيد المعاني لدى المتلقي و ترسيخها في ذهنه
- **إيقاعية:** حيث ساهم في بناء إيقاع داخلي حقق انسجاما موسيقيا خاصا
- **تزينية:** حيث أضفى تلوينا جماليا عبر تكرار ألفاظ مختلفة المعنى و متفقة الصوت

← فضلا عن حضور ظاهرة موسيقية أخرى ساهمت في إغناء الإيقاع الداخلي للقصيدة، و هي التوازي الذي يقوم على التشابه و التماثل في الأبيات الشعرية بين متوازيين متعادلين من حيث المضمون، ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل. و قد حضر في القصيدة بعدة أشكال:

- **التوازي الصوتي:** حيث ترددت عناصر الإنسجام الصوتي و توازنت في إيقاعها و تماثلت في بنيتها الشكلية
- **التوازي التركيبي التام:** حيث تساوت عناصر البيت في بنيتها التركيبية و اتفقت في وظائفها النحوية و الصرفية
- **التوازي التركيبي الجزئي:** حيث تطابقت متواليات الطرفين المتوازيين في البنية النحوية، و اختلفت في بنيتهما التركيبية
- **التوازي الدلالي:** حيث اشتركت الكلمات في نفس المعنى الذي يتولد في الذهن، في حين أن التقابل بينها يوحي بدلالات أخرى.

← كما نلاحظ أنه ورد في القصيدة بصيغتين:

➢ **التوازي بالترادف:** حيث حصل تشابه بين طرفين متتاليين لإثبات نفس المعنى، بتعبير مختلف الشكل و متفق المضمون.

➢ **التوازي بالتضاد:** حيث حصل تشابه بين طرفين متعادلين على في التركيب، و متقابلين من حيث الدلالة.

الأساليب: لقد سخر الشاعر مجموعة من الأساليب تنتمي إلى شقين:

- **الأساليب الخبرية:** التوكيد (مثال: إن..)، النفي (مثال: لا، لم..)، الشرط (مثال: إذا..فإن..)، الإستدراك (مثال: لكن..)...
- **الأساليب الإنشائية:** الإستفهام (مثال: لما، كيف..)، النداء (مثال: يا، أيها..)، الأمر (مثال: عليك أن..)، التمني (مثال: يا ليتني..)...

← و الأساليب المهيمنة في القصيدة هي الأساليب:

- **الخبرية:** لان الشاعر ضمن بها إيصال حالته النفسية و ما يختلج في ذاته إلى المتلقي.
- **الإنشائية:** لأن الشاعر ابتغى من وراء توظيفها أن يستجيب المتلقى لطلبه.